محمد الأخضر السائحي الشاعر الإصلاحي
(1918-2005)

أ.زينب جعني أ.خديجة جعني
جامعة غرداية

الملخص:

إنّ محمد الأخضر السائحي من أعظم ما أنجبت الجزائر، فهو علم من علماء الأدب وصوت صداح ملأ الفضاء العربي بشعر ترجم فيه هموم الوطن ، وتغنى لشباب الجزائر فحمسهم ، وغنّى للأطفال فأمتعهم وأكسبهم الأخلاق الفاضلة.

ترعرع في بلدته العالية بورقلة ،وخرج منها طالبا العلم ، حيث حطّ الرحال إلى كل من القرارة ، ثمّ توجه إلى جامع الزيتونة بتونس و نهل من علومها، و شارك في النضال السياسي فيها، ثم رجع للجزائر ، إذ ساهم في الحركة الإصلاحية بوادي ريغ، وهو أحد أبرز علماء و مدرسي و شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كافحت في سبيل عزة الإسلام و المسلمين ضد الاستعمار الفرنسي ، ليكمل مسيرته بعد الاستقلال من خلال مؤلفاته الأدبية شعرا ونثرا ، وحضوره المميز في المؤتمرات الجزائرية والدولية.

Résumé:

Mohammed al-Akhdar Sayehi is one of the greatest children of Algeria. He is a scholar of literature and a voice of friendship that filled the Arab space with poetry that translated the concerns of the homeland and sang to the young people of Algeria and sang to the children and made them virtuous.

He went to Algeria's Al-Zaytouna Mosque and learned from its sciences, participated in the political struggle there, and then returned to Algeria, where he contributed to the reform movement in Wadi Rigg, One of the most prominent scientists, teachers and poets of the Association of Algerian Muslim Scholars who fought for the glory of Islam and Muslims against French colonialism, to complete his career after independence through his literary poetry and prose, and his distinguished presence in the Algerian and international conferences.

المقدمة:

محمد الأخضر السائحي رحمة الله عليه هو الأستاذ الشاعر ويعد أنموذجا فريدا لحقبة زمنية مهمة في تاريخ الجزائر لدوره في النضال من أجل القيم العربية و الإسلامية ، والكفاح في سبيل النهوض بالحركة الشعرية ، واعتبر شعره ظاهرة متميزة في الشعر الجزائري والعربي، فشعره مطبوع على السجية دون تكلف ، وقد ترك عدة أعمال أدبية شعرية ونثرية . من هنا نطرح الإشكال: من هو الشاعر محمد الأخضر السائحي؟ وكيف التحق بتونس ؟ وماهي إسهاماته فيها؟ وماهو التأثير الذي أحدثه بعد رجوعه إلى الجزائر ؟ وماهي أهم نشاطاته وأعماله الأدبية؟

وسوف نركز على العناصر الآتية:

- التعريف بمحمد الأخضر السائحي
- نشاطه بتونس.
- عودته إلى الجزائر.
- نشاطه الأدبي.
- الأعمال والأنشطة التي مارسها.

- آثاره.

1- مولده ونسبه:

ولد محمد الأخضر السائحي شهر أكتوبر عام 1918 بقرية العالية ، شمال غرب ولاية ورقلة، ابن محمد العلمي بن سيدي الأخضر بن الأخضر بن عبد القادر ، ينتمي إلى عائلة الأخضري المتفرعة عن عرش أولاد السائح المنحدر من سيدي امحمد السايح بن أحمد بن علي بن يحي (أوائل القرن 9هـ/15م)أحد الرجال الصالحين بالمنطقة والموجود ضريحه بمنطقة جلالة بلدة عمر دائرة تماسين . عائلة مجيدة ، محبة للعلم ، أعطت المنطقة جلّ علمائها ومفتيها.

2- تعليمه:

انضم إلى أقرانه وهو في سن الخامسة ليحفظ القرآن الكريم، وقد امتاز بسرعة الحفظ مما جعله يتم حفظه للقرآن الكريم في التاسعة بمسقط رأسه على يد مشايخ في قريته،أشهرهم :الشيخ محمد بن الزاوي،الشيخ بلقاسم شتحونة، وأجيز على حفظه سنة 1930، ثم أخذ يعلمه للصبيان بمسقط رأسه لمدة تجاوزت السنتين[1].

انتقاله إلى القرارة:

انتبه والد السائحي إلى ذكاءه وجودة حفظه وقد سبق له زيارة مدينة القرارة في ولاية غرداية وعرف مافيها من نشاط علمي ، وتأثر بالأفكار الاصلاحية التي رفع لواءها الشيخ بيوض في المنطقة الذي ساهم في تأسيس "جمعية العلماء المسلمين" في 5ماي 1931م والذي كان ضمن أبرز علماء الاصلاح في أول مجلس إداري لها. ومن أبرز الوجوه الزيتونية التي تركت آثارا بارزة في مجال التربية والتعليم .فقرر نقل ابنه للقرارة بمعهد الحياة (مدرسة الشباب)[2] سنة 1933،حيث أتمّ مقرر الثلاث سنوات في سنة واحدة،وكانت سنة دراسية واحدة كافية لتجعله يملك مفتاح المغامر نحو الرحلة في طلب العلم، ليلتحق بعدها ورغم الضائقة المالية وحالة أسرته الفقيرة بتونس ودرس بجامعة الزيتونة[3].

3- محمد الأخضر السائحي في جامع الزيتونة 1934-1939:

-دوافع رحلته إلى تونس:

كبقية أبناء وطنه، كانت هناك دوافع دفعت محمد الأخضر السائحي للرحلة العلمية نحو تونس، أهمها:

- النهضة التي شهدتها تونس في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين من جو علمي، وسياسي، وأدبي، والتي كان لها تأثير في نهضة المغرب العربي[4] ، يقول عبد الله ركيبي: « إنّ دافعنا إلى الهجرة هو دافع جيل كامل بل أجيالاً قبلنا تهدف إلى أن تتثقف ثقافة عربية إسلامية أصلية، خاصة وأن التعليم المتوسط والثانوي ..ونحن أبناء الشعب من يعيش منا في الريف أو القرية لا فرصة له ليواصل تعليمه بعد الابتدائي فكانت (الزيتونة) ملجأ لمن حُرم من ثقافته وتراثه القومي »[5] .

- الاحتلال الفرنسي للجزائر وماترتب عنه من انخفاض مستوى الدخل والمعيشة للغالبية العظمى من الجزائريين،بحيث أن أعدادا ضخمة منهم،حرمت من التمتع بالخدمات العامة،كالصحة،والتعليم، [6] اتبع الاستعمار الفرنسي منذ دخوله الجزائر سياسة التجهيل للشعب الجزائري،،وبذل كل جهوده لتحطيم ثقافة ولغة الشعب الوطنية،ولكي يضمن النجاح لهذه السياسة سلط الفقر والفاقة على الشعب ليلهيه وينسيه جانب الفكر والتربية والثقافة والتعليم[7]، قد أرهق الشعب الجزائري حيث عبر عن ذلك ابراهيم أبو اليقضان:" لقد تسلط على الأمة الجزائرية عوامل ثلاثة، لو تسلط عامل واحد منها على أمة كبيرة لزعزع ركنها، وهدّ بناءها، ألا وهي: الجهل والفقر والفرقة [8]

-تأثير العامل الجغرافي فقرب البلاد التونسية من الجزائر جعلها وجامعها الزيتونة قبلة للجزائريين عموما وللطلبة خصوصا، خاصة سكان الحواضر الجزائرية الشرقية والجنوبية الشرقية، فقد تأثر السائحي بالهجرات الطلابية من الجنوب الشرقي إلى تونس[9]

- سعيه للاطلاع على التراث والاستزادة من كل المعطيات المعرفية التي تصقل موهبته عطاءه الشعري بالزخم .

- من أبرز الوجوه الزيتونية التي تركت آثارا بارزة في مجال التربية والتعليم في منطقة الجنوب الشرقي الشيخ ابراهيم بيوض وبما أنّ محمد الأخضر السائحي درس في معهد الحياة فقد تأثر بالهجرات الطلابية من الجنوب الشرقي إلى تونس.

ب- انتقاله إلى تونس :

بدأ محمد الأخضر السائحي رحلته لطلب العلم إلى تونس سنة 1934 حيث جامع الزيتونة [10] ، فكانت هذه فرصة له لينهل من معين هذا الصرح العلمي الذي كان قبلة لطلاب العلم من الجزائريين وحلم كل راغب.وكان الطلبة يتأهلون للدراسة في الجامع الأعظم بعد حفظ القرآن وتمكنهم من مبادئ العربية وعلومها، لقد استقطب جامع الزيتونة العديد من الطلبة الجزائريين من جهات عديدة من تبسة وعين البيضاء وقسنطينة [11]،وقد تابعت هذه الفئات الطلابية التي درست في المعاهد الاسلامية وكونت لنفسها جمعيات وتنظيمات طلابية حتى تناضل لتحسين ظروفها الصعبة ومنها تأسيس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين ، كانت بمثابة الناطق الرسمي لجمعية العلماء المسلمين[12] تونس خاصة بعد زيارة عبد الحميد بن باديس سنة 1937،التي أدت إلى تقوية الاحساس الوطني في نفوس الطلبة وربط الجالية المهاجرة بالجزائر وتقوية العمل المشترك بين التونسيين والجزائريين ومن أسماء الطلبة الزيتونيين في الجزائر محمد الاخضر السائحي و رفاقه محمد الشبوكي، والشيخ عبد المجيد حريش وعبد الرحمان شيبان والشاذلي المكي ، فتفتقت موهبته الشعرية في سن مبكرة فقد كتب عدة قصائد من بينها قصيدة بعنوان محرم سنة1356هـ، وقد برز نشاط محمد الأخضر السائحي في تونس من خلال القصائد التي نشرها في المجلات التونسية ، وتوطدت علاقته بمجموعة من النبغاء خاصة الأديب محمد المرزوقي وعبد الله الزريبي والتابعي الأخنش [13]، كما نظم قصيدة ولم يتجاوز عمره السابعة عشر تعبر عن التوجهات السياسية والوطنية ، وأصبحت النشيد الخاص للطلبة في المناسبات الوطنية، ومنها قوله:

سندرأ بالسيف عند العذاب ونرفع بالعلم فيك العلم.
فمن الجزائر غير الشباب نجاهد بالسيف أو بالقلم.
ليتوق إلى العيش حرا مهابا يرى الحرب مستعرا كالسلم
فأنا بنوا الفاتحين الأول بلادي وأشبال تلك الأسود
لنا نهجوا أسوة في العمل سيرضيك منا ويرضي الجدود
غدا ليتحقق ذلك الأمل لديك وليس غد ببعيد[14]

وقد حمل في قصيدته كل معاني الاستنهاض والثورة، وتفجير قوى الرفض والغضب ،وتعددت انشطة الطلبة حيث عين محمد الأخضر السائحي مستشارا في ديسمبر 1936 في جمعية شبيبة شمال إفريقيا الموحدة ، التي ضمت العدد من الطلبة الزيتونيين ،ثم أعيد تعيين السائحي مستشارا في جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين التي كان رئيسها الشاذلي المكي، كما انخرط في الحزب الدستوري التونسي ،حيث كانوا يعملون في إطار نقابي وثقافي أو ضمن لجان الدفاع عن حقوق الطلبة عموماً ، وقد عملت الجمعية على تكوين الطلبة وتمكينهم من التحصيل الفكري والديني وحتى السياسي حتى يتمكن طلابها من تحمل المسؤولية وقضايا الوطن والتفكير في مستقبله لأنّهم بعد تخرجهم سيرجعون إلى الجزائر ويواصلون نشاطهم في الحركة الوطنية

تحديدا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، التي نشط فيها محمد الأخضر السائحي [15] وقد حصل على شهادة التطويع من جامع الزيتونة.

4-عودته للجزائر:

ولم تكن رحلات الطلبة بعيدة عن عيون الرقابة الفرنسية التي عززت من متابعتها لتنقلات الطلبة باتجاه جامعة زيتونة خاصة أنّ فرنسا اعتبرتهم يحملون أفكارا سلبية وسيأثرون على الرأي العام في المنطقة خاصة في قطاع الجنوب ، كما أنّ أحداث 9أفريل 1938 الدامية بتونس كان محمد الأخضر السائحي أحد المطلوبين للسلطات الفرنسية بسبب نشاطه الصحفي وتراكيبه الشعرية الوطنية فعاد متخفيا إلى الجزائر، وبمجرد عودته سنة 1939م اعتقلته السلطات الفرنسية في السجن بمجرد نزوله من القطار لمدة أسابيع، بفضل توسط أخواله في الزاوية التيجانية في تيماسين جعلته لايطيل البقاء في السجن[16].

مساهمته في الحركة التنويرية بوادي الريغ :

حيث تمكن من بعث النهضة الثقافية بمناطق الجنوب الجزائري في وادي الريغ، انتقل إلى بلدة عمر فسعى لتأسيس مدرسة عربية حرة يعلم فيهامجموعة من الشبان والكهول، ثم انتقل إلى تقرت وعمل في مدرسة الفلاح ، وفي سنة 1947 طلب منه أعيان "تيماسين" أن يعود إليهم ويئسس لهم مدرسة ، ففتح مدرسة حرة فيها ، فصار ينتقل من تماسين إلى تقرت، كما أسس جمعية الأمل الثقافية التي جمع فيها ثلة من الشباب وغرس فيهم الروح الوطنية . ينشدون الأناشيد الحماسية التي تمجد الوطن والقصائد الدينية التي تغرس القيم، وعن طريق تمثيليات تخلد التاريخ العربي والاسلامي ، وكان السائحي أول من بذرر بذور الابداع الأدبي في شباب تقرت . وشجعهم على قول الشعر فقد أسس ناديا خاصا للتدريب على قول الشعر وكتابة المسرحيات ، ومن قصائده افي هذه الفترة قصيدته الترحيبية التي نظمها لتلاميذ "مدرسة الفلاح":

مرحبا أهلا وسهلا أيّها الوفد الجليل.

أيّ فجر قد أطلا من محيّاك الجليل

كما ساهم في تكوين فوج الكشافة الاسلامية مع زميله الشهيد " عضامو محمد البحري"، ونسبه إلى جمعية الأمل فسماه فوج الأمل ، وكان السائحي هو صوتها الوطني بتركيباته الشعرية ، وعن طريق هذا التنظيم زرع السائحي مفهوم الفكرة الوطنية العملية في أذهان الشباب وفع بهم للعمل الوطني، وخوض غمار النضال في الحركة الوطنية في مختلف أطيافها وجعلهم يستعدون للثورة ، فجل الذين قادوا الخلايا الثورية بتقرت كانوا من تلاميذه[17]كما شكل فرقة مسرحية وساهم في انتقال عدد من الطلبة إلى تونس ومصر لطلب العلم [18]

استقراره بالجزائر العاصمة:

بعد تجربته في التدريس واسهامه في الحركة التعليمية في المنطقة ، انتقل إلى مدينة باتنة سنة 1952م إلى بيت عمه "سيدي عبد القادر "بمناسبة وليمة أقامها ،حضرها السيد "فتح الله بن حسين" الذي كان يرأس القسم العربي بإذاعة الجزائر فأعجب بشخصية السائحي وقدراته الأدبية وطلب منه القدوم إلى الجزائر لتقديم بعض الأعمال الأدبية في الإذاعة فالتحق بالجزائر العاصمة .وعمل فالإذاعة وفي فترة قبل الاستقلال كان يعمل أحيانا في الإذاعة ويعمل كذلك مدرسا في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان يقرأ مع الحزابة يوميا بالمسجد الكبير ، إلا أن استقر في العمل في الاذاعة، ولما أنشأت لجنة الاعتراف بقدماء المعلمين واعترف للشيخ بجهوده في التعليم قبل الثورة التحق مدرسا بثانوية "ابن خلدون" في بلوزداد، لكن قيود التدريس أثقلت عاتق محمد الأخضر السائحي انتدب إلى وزارة التربية للعمل فيها إلى غاية سن التقاعد ، إلّا أنّه استمر

في العمل فالإذاعة ، وفي الديوان الوطني لحقوق التأليف في ترشيد وجمع التراث ولم يتوقف عن النشاط والحركة إلى أن أقعده المرض وتوفي مساء الاثنين 4جمادى الثانية1426هـ الموافق ل 11جويلية 2005م[19]

5- نشاطه الأدبي:

البعد الوطني:

نجد الشاعر يولي اهتماما بالبعد العربي والوطني في شعره، ويعتبر من رواد الشعر الحديث في الجزائر، وقد تذوق معنى الوطنية والعروبة في شعره ،فجادت قريحته الشعرية منذ شبابه ، ونلاحظ بوضوح غلبة النزعة الوطنية والتحررية في شعره سواء قبل أو بعد الاستقلال :

ففي ذكرى 8 ماي 1945يقول:

وجهه في تقطيبة بسمات رائعات وصمته تغريدة

والدم الطاهر المراق عليه لامع في جبينه وهو عيد[20]

وتأتي نظرة محمد الأخضر السائحي وهو يخاطب وطنه على لسان ثائر لا يعبأ بالموت ولا يرهبها، إنّه وقد اختار درب النضال، فدماؤه وحياته كلّها فداء لوطنه الحبيب الذي إن مات من أجله، فأبناؤه سينعمون بعده في وطنهم المفدّى بحياة ملؤها العزة والكرامة "[21]

يقول السائحي في هذه المعاني :

" أنا حرّ وهذه الأرض أرضي سوف أفدي حياتها بحياتي

سوف أبني أمجادها وأروي بدمائي مروجها النضرات

فتدفّق يا أيّها الدم حرا واجْرِ في هذه الذرى الشامخات

أنا إن متّ هاهنا اليوم فابني سوف يبقى وسوف تبقى بناتي[22]

ويقول الأخضر السائحي:

ابن مليون شهيد ابن أرضي العربية

سوف أحمي في غدي

بلسان ويدي

وطني الغالي المجيد

ويقول مفتخرا بثورة الأمير عبد القادر ضد الاستعمار الفرنسي :

لك في كلّ لحظة ألف ذكرى لك في كل منظر

لم نخن عهدنا غداة حلفنا لك أن نستقل أن نتحرر.

في ذكرى الإمام ابن باديس الخامس والعشرين

يقول السائحي:

أبا اللهب القدسي السنا ***** و يا زارع النور في الأضلع[23]

البعد الديني: ويتجسد ذلك من خلال عدّة قصائد في حب الله والرسول ، ومن أروع أعماله تشطيره لبردة البوصيري فيقول:

أمن تذكّر جيران بذي سلم قضيت ليلك بين السهد والألم

أكلّما سمعت أذناك ذكرهم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة فأجّجت شوقك المجنون للضرم
ونابك الحزن لما بان موقعها وأومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينيك إن قلت اكفُفا هتما بدمع كغزير الغيث منسجم
وما لأذنك قد صمت بلا صمم ومالقلبك إن قلت استفق يهم

وفي إعلاء منزلة الرسول يقول:

بابن عمرات شرفت سيناء وبإدريس والمسيح السماء
ولك العرش موطئا ووطاء كيف ترقى رقيك الأنبياء[24]

كما غلب على شعره الوجدانيات وحب النبي محمد صل الله عليه وسلم حيث يقول :

على عتبات النور في حرم النبي وقفت بقلب خاشع متهيب [25]
ولم يبق من يملأ النور قلبه ولم يبق من لم يهتف الله أكبر [26]

البعد العربي

ونجد الشاعر يولي اهتماما بالبعد العربي في شعره وبلغة بيان تدل على إشراقة هذه اللغة ، ومنها قصيدته التي ألقاها أثناء انعقاد مؤتمر أدباء المغرب العربي سنة 1969، يقول:

لم أزل يستفزني كل صوت عربي دعا له عربيا
وأخ في النضال نادى أخاه كن مدى الدهر ياأخي مغربيا

ويقول في آخر القصيدة :

جمع الله شملنا فالتقينا لاخلاف لاجفوة لابعاد
قد كشفنا الغطاء عنّا وقمنا طلع الفجر واستحال الرّقاد[27]

ونجده في "عكاضية الشعر" التي أقيمت في تونس سنة 1973 ، يعبر عن حبه لقومه وأبناء أمته ويتمنى الوحدة الكبرى التي يحلم بها:

أنا ابن أرضي على ايقاع وقعتها أشدو وأعزف للأجيال ألحاني.
أروي لهم قصصا ماكان أروعها في الليل عن عقبة الفهري وحسان

إلى أن يقول:

لابد من موقف كالأمس يجمعنا من أجل عدنان أو من أجل قحطان.

ولما زار الرئيس جمال عبد الناصر الجزائر قدّم الشاعر السائحي قصيدة "التقينا"يعبر فيها عن التلاحم العربي فيقول:

وطن واحد وشعب وحيد لايقرّ الشعوب والأوطانا

إلى أن يقول:

وحدتنا الأحداث والدمّ والتاريخ والضاد ..واتّحاد هوانا.[28]

ولما نقل رفات الأمير عبد القادر من سوريا قال:

يادمشق الفيحاء ألف تحية قد عرفناك في الندى أموية
أي بشرى حملتها لبلادي برفات الأمير أي هديه

إلى أن يقول:

إنّما قد رعيت حق إخاء عربي ياأختنا العربية [29]

وكتب قصيدة تحية الجزائر:

من بلادي من الربوع الأبية من مغان- كهذه- عربيه

من جبال تطلعت شامخات رافعات الرؤوس بالحرية

إلى أن يقول:

فلهذا الجزائر اليوم تشدو وتغني لروعة الأذكار

نحن لفظان وحدتنا المعاني أبدا .."فالحبيب يعني الهواري [30]

لقد حظيت القضية الفلسطينية حيزا هاما من شعره، وكان يذكرها في أغلب قصائده الوطنية والقومية ، والنكبة الفلسطينية عام 1948م، التي رآها بنفس المنظار ونفس الألم ولكن بنفس الأمل في التحرر وانقشاع الغمام والعودة.الشاعر محمد الأخضر السّائحي يخاطب العرب في قصيدة من سوانا أي نحن العرب يستطيع تحقيق النّصر ودحر الهزيمة قائلا :

"يا أخي لبِّ النِّدا فلقد طالَ المدى

مَن سِوانا يا أخي لفلسطين الفدا؟

إنّها أرض الجدود كيفَ تعطى لليهود؟

قل غدا سوف نعود يا فلسطين غدا" [31]

فضاعت فلسطين و قبل ضياعها أضعنا الهدى و الحق و الطهر و النقا[32]

وفي قصيدة نشرها سنة 1963 تحت عنوان "حلفنا سنعود" و هي عبارة على نشيد ذي عبارات سهلة و بسيطة بموسقى و إيقاع و نبرة عالية ، حيث بدأ بالقسم على العودة والقضاء على الصهاينة اليهود

قد حلفنا سنعود يا فلسطين الأبية و سنرمي باليهود بين أحضان المنية[33]

وعندما وقعت حرب أكتوبر 1973 ، شعر بنشوة النصر على الأعداء الصهاينة الذين يدعون أنّ "جيشهم لايقهر" فقال:

ونثأر للحق من باطل وللعدل من ظالم جائر

كأنّ نسورهم في يدينا عصافير في مخلب الكاسر[34]

كما كتب قصيدة "حرروا القدس" وقرأها في مؤتمر الأدباء العرب ومهرجان الشعر في دمشق، حيث قال:

وحرّروا القدس، إنّ القدس قبلتكم أ لم يكن منه معراج وإسراء؟

كما حضر مؤتمر حركة عدم الانحياز وقدّم للحضور التحية للمؤتمرين والحضور ، فقال:

أحييكم باسم كلّ شريد يتيه غريبا بلا موطن

يعيش على أمل في الرجوع ويحيا مع الألم المزمن [35]

و في رائعته " متى ترفع الرأس ؟!!" سنة 1982 التي خاطب فيها رجال الدين في ملتقاهم السادس عشر فمعذرة يا ملتقى الفكر ما أنا أغني و لكن في الحقيقة أندب فكيف يروق اللحن و الموت جاثم؟ و كيف يطيب الشعر والدار تنهب؟

كما افتخر السائحي بصحرائه فقال :

ياكبد الصحراء أنت جديرة بأن تصبحي للفكر في الدين ملتقى.
فقد كانت الصحراء للدين مطلعا وكانت على الأيام للفكر مشرقا[36]

المسرحيات:

ويظهر اهتمام الشاعر بالمسرح انتاجا وحضورا ، حيث أنّه سنة 1954 وعلى أثر رحلة مسرحية في بلدان المغرب العربي، قامت بها الفرقة المسرحية الحديثة، وهي خلف للفرقة القومية بإدارة عميد المسرح العربي يوسف وهبي بتكريم الفرقة المصرية ومديرها، فنظمت لها حفل استقبال في (باب الوادي) بالجزائر العاصمة، حضرها كثير و ألقى في الحفل الشاعر محمد الأخضر السائحي قصيدة رائعة :

ضيف الحمى أهلاً بكم وعلى الرحب
فأنتم هنا لم تبرحوا موطن العرب
بكل مكان منزل وقرابة لكم.
فانزلوا بين الأقارب والصحب[37]

وله عدة مسرحيات شعرية من بينها مسرحية بعنوان :"السكير والملكات الضائعة" مثلها فوج الأمل بتقرت وفوج الرجاء بباتنة

شعر الأطفال عند محمد الأخضر السائحي:

لم يظهر أدب الأطفال كجنس أدبي مستقل، ذلك أنّ أدب الطفل لم يتبلور وقتئذ كأدب قائم بذاته، له خصوصياته الفنية والنفسية والتربوية، وإن كانت هذه القصائد تدور في فلك المدرسة أو الكشافة الاسلامية لتحقيق غايات تربوية ودينية[38]، والشاعر محمد الأخضر السائحي كان ينشر قصائده الموجهة للأطفال في دواوينه الموجهة للكبار، مثل قصائده يامنى ، طفلتي، رايتي،اسلمي ياجزائر، نشيد الأطفال، أغنية التشجير.

لكن بعد فترة قام الشاعر بتخصيص دواوين للأطفال، وهو مجموعة أناشيد للأطفال، حيث تناول المواضيع التي رسخ الشعور الوطني : عيد نوفمبر، نوفمبر، ثورة البناء والتشييد، عيد العمال، نشيد الشباب ، وتناول موضوع الطبيعة " الطفل والنبع ، الواحة، أنا أحب الشجرة ، الشتاء، استقبال الربيع" والموضوع المدرسي :" المدرسة ، محفظتي، القلم، الكتاب، " والموضوع الديني :"رمضان، الصلاة، نشيد المولد"

ومن أهم قصائده للأطفال هي أنشودة "وداع الحديقة الساحرة" حيث يقول:

حديقتي آن الأوان وحان أن نفترقا
هيا اهتفوا طول الزمان إلى اللقا إلى اللقا[39]

وفي قوله:

هيا بنا جميعا نستقبل الربيعا
قد حلّ في الحقول والسفح والسهول

كما ألف كتاب خاص للأطفال وهو " أناشيد النصر" ومن أهم الأناشيد المدرجة في هذا الديوان والتي بلغ عددها تسع عشرة أنشودة، ومنها أنشودة :" العامل ، الفلاح، المرأة، الإذاعي، المعلم ، الثورة الزراعية" ،فالسائحي كتب للأطفال لا من أجل تسليتهم فحسب، وإنّما كتب لهم لينقل لهم من تجارب الكبار.

6- الأعمال والأنشطة التي مارسها السائحي:

في المجال الصحفي.

للسائحي مجموعة من القصائد كتبها داخل وخارج الوطن من بدايته وانتقاله للقرارة كتب مجموعة من القصائد ، إذ نشرت له جريدة الشباب قصيدة بعنوان:"أنادي من بني قطري رجالا "وقصيدة "أنّما العلم للضعيف سلاح" ومنها قوله:

أيها العاشقون للعلم جدّوا ليس كالعلم للطموح جزاء[40]

وبعد انتقاله لتونس نشر في عدة جرائد تونسية ابتداء من سنة 1936 بكل من : الثمرة الأولى – الزمان، الواجهة، ،المذياع ، الأسبوع، الأفكار،البوق، وجريدة العمل ، حيث أنّه رغم تضييق السلطة الفرنسية على من ينشر بها في تلك الفترة ومدحه للحبيب بورقيبة الذي لمع كزعيم وطني ويدعو الناس للالتفاف به [41]

عندما تخرج من الزيتونة سنة 1939 عاد إلى الجزائر وواصل نشاطه في الصحف العربية والجزائرية، حيث بمجرد عودته نشر في مجلة الشباب بالقرارة مقال يقارن فيه بين النظام التعليمي في مدرسة الشباب وجامع الزيتونة ، كما نشر في المجلة قصيدة "شباب القرارة" ، كما كتب في عدّة مجلات أهمها البصائر التي أشرف على تحريرها محمد البشير الابراهيمي ، كما كتب في مجلة المنار والثقافة ومجلات عربية مثل مجلة البيان الكويتية [42] كما كانت له صفحات من مجلة عدد ألوان التي تصدر شهريا بعنوان من ألوان للسائحي وكلها رسالة مشفرة عن الواقع المعاش سواء وطنيا أو عالميا بقالب المزاح

في المجال الإذاعي:

منذ وصوله إلى الجزائر في صيف 1952 إلى 1963 وهو يعمل في الاذاعة بالقطعة أو الكاشي حيث يأخذ أجره عن العمل الذي يقدمه انتاجا أو مشاركة في عرض انتاج ، إلا أن توظفى فعليا سنة1963 بعد أن لاحظوا خفة روحه ولطفه وذكائه ، فطلب منه تحضير مجموعة من أحاديث الصباح في مواضيع إجتماعية وتاريخية ثم وظف في قسم المنوعات ، ورغم التحاقه بالتعليم ثم انتدب في وزارة التربية إلّا أنّه ظل يساهم في الإذاعة بالشعر والحديث والنكتة في برنامجه" ألوان " ، حيث كانت تجذب الشيوخ والشباب مثقون أو أميّون ، تميز شعره بالخفة كما تميز هو بروح الفكاهة التي كان يتمتع بها خاصة ضمن برنامجه الإذاعي "ألوان"والذي امتد أكثر من عشرين سنة بالقناة الأولى وبرنامج "نماذج" رفقة عثمان بوقطاية. وقّم والحكمة والموعظة كما في أحاديثه "بلاعنوان" ، وما كان يقدمه للمغنين من الأشعار ، وما قدمه من مشاركة في برنامج" الحديقة الساحرة" [43]

في مجال النقد الأدبي:

وقد كان محمد الأخضر السائحي ناقدا حيث نشر عدّة مقالات تتضمن مواقفه آراءه النقدية وموقف من الشعر قديمه وحديثه منها مقالاته في مجلة " هنا الجزائر" فله دراسات أدبية عديدة منها العناوين التالية : البديهة في الأدب العربي، أبطال الفكاهة ، محاكمة الشعراء من خلال رسالة الغفران [44] .

انجازاته ومكانته الأدبية:

كان ضمن الأعضاء المؤسسين لاتحاد الكتاب الجزائريين سنة 1964، وشغل منصب الأمين العام المساعد في الهيئة الثالثة سنة 1981،كما شارك في كل النشاطات الأدبية داخل الجزائر، حيث كان أحد الوجوه الدائمة الحضور في الملتقيات الثقافية في الجزائر، وحضر أغلب مؤتمرات اتحاد الكتاب العرب مثّل الجزائر في عدد من المهرجانات الثقافية والدولية ومهرجانات الشعر في كثير من العواصم العربية[45]وحضر فعاليات ستينية الشابي واتحف جمهور بقصائده[46] ،

جاء فيها :

لقد كنت تدري أن في موتك البقا ولكم عظيم في الممات حياته

وذو العقل من لم يرض بالعيش خاملا ومن يطلب العليا وفيها مماته

فكنت الذي فاق الكواكب رفعة وإن كان من تحت التراب رفاته.[47]

فاز بعدد من الجوائز منها الوسام الذهبي في مهرجان الشعر العربي الحادي عشر بتونس في مارس1973، حيث أحجم المشاركون على إلقاء قصائدهم بعد أن ألقى قصيدته " بلاعنوان"

، كما فاز بالجائزة التي رصدها اتحاد المغرب العربي سنة 1973 بتونس لنشيد إتحاد المغرب العربي :

حلم من ماتوا وحلم الحقب حلم جدي حلم أمي وأبي

وارفعوها فوق هام السحب فانشروا رايته خفاقة

واهتفوا يحي اتحاد المغرب

أسسا الوحدة من عهد قديم عقبة الفهري وحسان العظيم

بلسان العرب والدين القويم وحدّا الأنساب في تاريخنا

وحضر وكرم في الاسبوع الثقافي للجزائر في الكويت سنة 1977. [48]

آثاره:

يقول الشيخ البشير الابراهيمي:"يموت العظماء فلاتندثر منهم إلا عنصر التراب ، الذي يرجع إلى أصله وتبقى معانيهم الحية ....فإنّ كل مايخلفه العظماء من ميراث هو أعمال يحتذيها من بعدهم "، ومن هنا فقد ترك محمد الأخضر السائحي ، الكثير من النصوص الشعرية والنثرية التي أثرت على السائحة الأدبية على مدى أكثر من ستين سنة منها عشرة أعمال مطبوعة وهي:

- همسات وصرخات ديوان شعر، دار المطبوعات الوطنية ، 1966
- لحن الوفاء، أقصوصة شعرية، الجزائر، 1975.
- ألوان بلا تلوين، مجموعة من النوادر والنكت ، 1976
- "جمر ورماد " ديوان شعر – عن الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.
- "ديوان الأطفال" مجموعة أناشيد للأطفال ، 1983.
- "أناشيد النصر " سنة 1983.
- "إسلاميات" ديوان شعري ، الجزائر 1984.
- بقايا وأوشال " ديوان شعري ، الجزائر،1987
- "الراعي وحكاية ثورة "مسرحيتان شعريتان، الجزائر، 1983.
- تشطير بردة الامام البوصيري ، 2000

الخاتمة:

يمكن القول إنّ الشاعر محمد الأخضر السائحي يعد رمزا من رموز هذا الوطن في عالم الأدب والثقافة، لقب بشاعر القطرين لأنّ التونسيين يعتبرونه واحدا منهم ، فقد تغنى بجمال تونس وفيها تعلم وتفتحت قريحته الشعرية.

ويكفي أنّ السائحي استطاع أن يوصل صوت بلاده إلى الأمم ،ولا ننكر نشاطه الإصلاحي ودوره في اليقضة والنهضة التي عرفتها منطقة وادي ريغ فهو أب الحركة الإصلاحية في المنطقة بتأسيسه عدة مدارس في الحقبة الاستعمارية ؛حيث استطاع أن ينقذ مناطق الجنوب خاصة تيماسين وتقرت من الجهل والأمية وبهذا فقد ساهم في الدفاع عن القيم الثقافية والحضارية للشعب الجزائري، التي كان الاستعمار يحاول بشتى الطرق طمسها و القضاء عليها ، ويكفيه فخرا أنّه كوّن جيلا متواصلا

بالعلم والوعي ، أمّا عن شعره فقد جاءت لغته انسيابية سهلة قريبة من لغة العامة، وظلت قصائده ترددها ألسنة النشء وتغرس فيه حب الوطن والتحلي بالأخلاق، وبهذا بقي حيا في ذاكرة كل الجزائريين بفضل نشاطه الفكري.

الهوامش والاحالات:

---

(1)محمد الأخضر السائحي : ديوان همسات وصرخات، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1981، ص10.

(2)يعود تأسيسه إلى يوم 28 شوّال 1343هـ الموافق لـ 21 ماي 1925م على يد رائد الحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض رحمه اللّه.

يعدّ معهد الحياة صرحا إسلاميا ومشروعا علميا . تربويا، حيث كان التدريس في أوّل الأمر في دار الإمام الشيخ بيّوض تحت اسم معهد الشباب حتى صدر الاعتراف الرّسمي بجمعية الحياة سنة 1937م فتحوّلت تسميته إلى معهد الحياة. ينظر: سعيد بكير عوشت: إبراهيم بيوض وجهاده الاسلامي في الجزائر، دط، المطبعة العربية،غرداية،1987،ص43.

(3)محمد الأخضر السائحي: ديوان همسات وصرخات ،المرجع السابق،ص10

(4)محمد علي دبّوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،ط1 ،المطبعة العربية، ،الجزائر،1971م،ج2، ص16.

(5)سعيدوني(نصر الدين): دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م،ص 480.

(6)ابراهيم مياسي:موقف الإدارة الاستعمارية من تعليم الجزائريين، في مجلة الشهاب الجديد،العدد3 ،الجزائر،2004،ص296

(7)يحي بوعزيز:أوضاع في الجزائر خلال ثورة أول نوفمبر ، في مجلة الشهاب الجديد،العدد03 ،الجزائر،2004 ص،286ا

(8)حمادي عبد الله :أصوات من الأدب الجزائري الحديث،دار البعث، قسنطينة،2001 ،ص27

(9)محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م - 1962م، الدار العربية للكتاب،الجزائر، 1983م، 23,

(10)يعتبر جامع الزيتونة الذي أُسس في العصر الأموي سنة 114 هـ/732 م ، أقدم المعاهد التعليمية في المغرب الاسلامي العربية ، حمل لواء الثقافة القومية العربية ووحافظ على المقومات الحضارية في الوقت الذي كانت فيه الثقافة مهددة بالمحو والمسخ ، وقد استطاع أن ينشيء جسر تواصل دائم بينه وبين الجماهير العربية خاصة الجزائرية، ينظر: الطاهرعبد الله: الحركة الوطنية التونسية 1830-1956،ط2،دار المعارف للطبع،تونس،ص226.

(11)أحمد توفيق المدني: حياة كفاح (مذكرات)، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1976 ، ص87.

(12)تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 05 ماي 1931. في نادي الترقي بالجزائر العاصمة. بحضور 72 عالما جاءوا من مختلف أرجاء الوطن. ومن مختلف التوجهات الدينية والثقافية. فكان منهم الطرقي. والمصلح. لمتطرف والمعتدل. في هذا الاجتماع تكون لجنة تأسيسية. تكون منها مجلس إداري من 13 عضوا على رؤوسهم ابن باديس الذي تم انتخابه رئيسا لهذه الجمعية.ينظر: سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج3،ص 89.

(13)أحمد مريوش:دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كنوز الحكمة، الجزائر، ج1.

(14)محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري، المرجع السابق، ص122.

(15)الطاهر عبد الله :المرجع السابق، ص226.

(16) محمد الأخضر السائحي: ديوان همسات وصرخات ،المرجع السابق،ص23 .

(17)حمزة يدوغي: الجانب الروحي في شخصية الشاعر الأستاذ الشيخ محمد الأخضر السائحي،في مجلة الثقافة، العدد صفر، مديرية الثقافة لولاية ورقلة،2009،ص46.

(18)إميل يعقوب: معجم الشعراء منذ بدء عصر النّهضة، دار صادر بيروت، لبنان،2004،المجلد الثالث، ص1073.

(19) محمد الأخضر السائحي: ديوان همسات وصرخات ،المرجع السابق،ص26.

(20)المرجع نفسه،ص81.

(21)مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (دراسة موضوعية فنية). ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 223.

(22)محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات ، المرجع السابق، ص 17.

(23)المرجع نفسه،ص 80.

(24)حمزة يدوغي: المقال السابق،ص50.

(25)محمد الأخضر السائحي،إسلاميات، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص5.

(26)محمد الأخضر السائحي، همسات وصرخات،ص18.

(27) محمد الأخضر السائحي،جمر ورماد ،الدار العربية للكتاب، تونس، 1981،ص21.

(28) محمد الأخضر السائحي، المرجع نفسه،ص41.

(29) نفسه، ص49.

(30)محمد الأخضر السائحي، تحية الجزائر،في مجلة الفكر، العدد2، 1973، ص140.

(31)عبد الله ركيبي:فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دارصادر للطباعة والنّشر، سوريا،1986،ص43.

(32)محمد الأخضر السائحي: إسلاميات، المرجع السابق،ص29.

(33)محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات ، المرجع السابق، ص146.

(34)محمد الأخضر السائحي،جمر ورماد، المرجع السابق،ص47.

(35)المرجع نفسه،ص39.

(36) محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات ، المرجع السابق، ص100.

(37)خميسي زغداني: صفحة مندرسيّة من الحركة المسرحيّة في الجزائر، في مجلة الموقف الأدبي ،العدد 250، سوريا ، ص78.

(38) العيد جلولي: النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، موفم للنشر ،الجزائر، 2008،ص41.

(39) محمد الأخضر السائحي: ديوان الأطفال ،المكتبة الخضراء للطباعة، الجزائر،2000، ص39.

(40)المرجع نفسه، ص32.

(41)محمد صالح الجابري: المرجع السابق، ص327.

(42)العساكر محمد:" محمد الأخضر السائحي في مدرسة الشباب في القرارة"، في مجلة واحة الثقافة ، العدد صفر، مديرية الثقافة ، ولاية ورقلة، الجزائر،2009، ص32.

(43) محمد الصغير السائحي: الشيخ السائحي كما عرفته، في مجلة واحة الثقافة ، العدد صفر، مديرية ثقافة، ورقلة ، الجزائر، 2009، ص27.

(44)محمد العلمي السائحي،السائحي ناقدا، في مجلة واحة الثقافة ،العدد صفر، مديرية الثقافة ، ورقلة، الجزائر، ص66.

(45) محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات،المرجع السابق،ص10.

(46)محمد الأخضر السائحي : على هامش ستينية الشابي، في مجلة الاتحاف، العدد 54، 1994،ص50

(47)محمد الأخضر السائحي ، وكل عظيم في الممات حياته ، في مجلة المسار، العدد90، 2009، ص49.

(48)محمد الأخضر السائحي ، في مجلة البيان – الكويتية ، العدد134،الكويت، 1977،ص76.

ببليوغرافيا:

أ- المصادر:

- السائحي محمد الأخضر :ديوان همسات وصرخات، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- السائحي محمد الأخضر :إسلاميات، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- السائحي محمد الأخضر:جمر ورماد ، الدار العربية للكتاب ، الجزائر،1981
- السائحي محمد الأخضر: ديوان الأطفال ،المكتبة الخضراء للطباعة، الجزائر،2000.

ب- المراجع:

- المدني أحمد توفيق: حياة كفاح (مذكرات)، ط1 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
- حمادي عبد الله:أصوات من الأدب الجزائري الحديث ، دار البعث، قسنطينة ، 2001.
- الجابري محمد صالح :النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م - 1962م ، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983
- بيطام مصطفى: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 – 1962 (دراسة موضوعية فنية)،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1998.
- جلولي العيد:النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر،موفم للنشر.، الجزائر، 2008.
- ركيبي عبد الله:فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار صادر للطباعة والنّشر، سوريا، 1986.
- سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ط4،دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.ج3.
- سعيدوني نصر الدين :دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،لبنان، 2000
- عبد الله الطاهر:الحركةالوطنية التونسية 1830-1956.ط2،تونس: دار المعارف للطبع، تونس، 1990.
- عوشت سعيد بكير: إبراهيم بيوض وجهاده الاسلامي في الجزائر،دط، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر، 1987.
- الصديق محمد الصالح : شخصيات فكرية وأدبية ، دار الأمة، الجزائر، 2002.
- مريوش أحمد: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كنوز الحكمة، الجزائر، ج1.
- يعقوب إميل:معجم الشعراء منذ بدء عصر النّهضة ،المجلد الثالث،دار صادر، لبنان،2004.

المجلات والدوريات:

مجلة الاتحاف:

- السائحي محمد الأخضر: "على هامش ستينية الشابي"، مجلة الاتحاف،العدد 54،1994.

مجلة واحة الثقافة:

- السائحي محمد الأخضر عبد القادر السائحي:"محطات في حياة الشاعر محمد الأخضر السائحي الكبير"، مجلة واحة الثقافة ،العدد صفر. مديرية الثقافة. ورقلة.2009.
- السائحي محمد العلمي.2009. "السائحي ناقدا". مجلة واحة الثقافة ،العدد صفر. مديرية الثقافة. ورقلة.
- السائحي محمد الصغير الأخضر:" الشيخ السائحي كما عرفته"، مجلة واحة الثقافة ، العدد صفر، مديرية ثقافة، ورقلة، 2009.
- العساكر محمد:" محمد الأخضر السائحي في مدرسة الشباب في القرارة" . مجلة واحة الثقافة ، العدد صفر، مديرية الثقافة ، ولاية ورقلة، الجزائر،2009.
- قادري الراشدي عبد الحميد:" مساهمة الشيخ السائحي في الحركة التنويرية"، مجلة واحة الثقافة، العدد صفر،مديرية الثقافة، ورقلة.2009.

-يدوغي حمزة " الجانب الروحي في شخصية الشاعر الأستاذ الشيخ محمد الأخضر السائحي"، مجلة واحة الثقافة، العدد صفر،مديرية الثقافة لولاية ورقلة،2009.

مجلة البيان:

السائحي محمد الأخضر:"جلسة شاي مع محمد الأخضر السائحي" مجلة البيان – الكويتية ، العدد134، 1977.

مجلة الشهاب الجديد:

مياسي إبراهيم:"موقف الإدارة الاستعمارية من تعليم الجزائريين" مجلة الشهاب الجديد،العدد3. الجزائر، 2004.

بوعزيز يحي: "أوضاع في الجزائر خلال ثورة أول نوفمبر " ،مجلة الشهاب الجديد.العدد3.الجزائر، 2004.

مجلة المسار:

السائحي محمد الأخضر: "وكل عظيم في الممات حياته ". مجلة المسار. العدد90.تونس، 2009.

مجلة الفكر:

- السائحي محمد الأخضر :" تحية الجزائر". مجلة الفكر.العدد2.تونس، 1973.

مجلة الموقف الأدبي:

- زغداني خميسي: "صفحة مندرسيّة من الحركة المسرحيّة في الجزائر". مجلة الموقف الأدبي ،العدد 250،سوريا، 1992.